خامنئي.. الإمام المرشد والولي الذي أحرق وجفّف ولم يتق

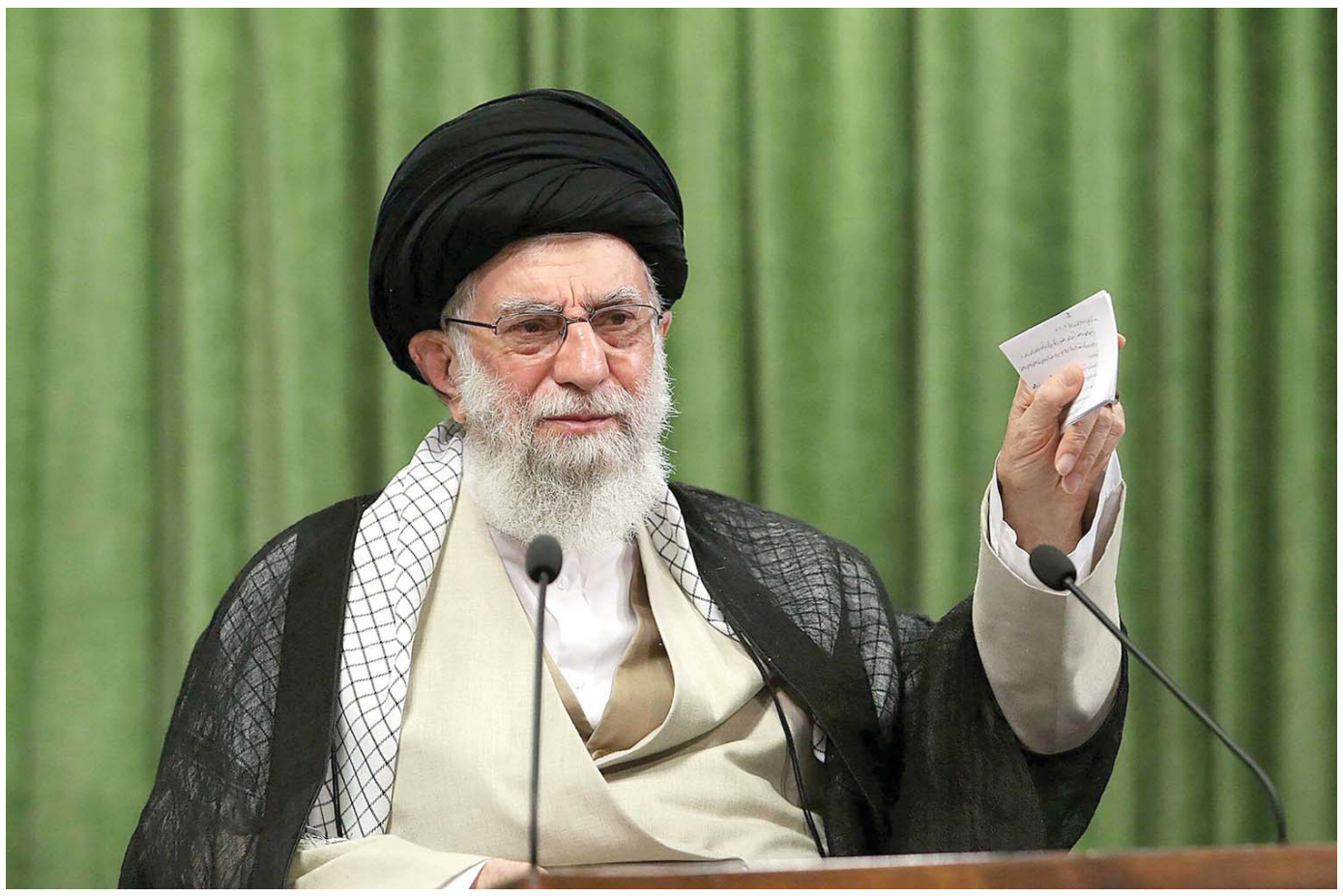

علي الصراف
كاتب عراقي

اسمه علي خامنئي. وهو "الإمام" و"المرشد" و"الولي التقي" لجمهورية المذهب الصفوي. يواجه الآن انتفاضة جديدة، تندلع في الأحواز، ويحاول أن يغلب بالنفاق ما لم يقدر عليه بالقمع الوحشي. وهو أكبر القتلة، ودليلهم إلى أعمال الإبادة الجماعية. هو الذي عندما يؤشر بإصبعه، يموت الآلاف في ليلة واحدة، كما حدث في نوفمبر 2019. ولكنه يجرّب الآن وسائل أخرى.

والنفاق جزء من الطبيعة الباطنية للمذهب. ويدعى "تقيّة". والتقيّة هي الكذب بغرض النجاة بالنفس. إلا أنها، بحكم العادة، تحولت إلى كذب فقط. وهو ما يمارسه أتباع المذهب، كلما تنفسوا.

"علي أكبر منافقي" هذا، خشي من تصاعد موجة الاحتجاجات في الأحواز ضد نظامه، فقال إنه "لا يمكن إلقاء اللوم على الإيرانيين الذين يحتجون على نقص المياه في جنوب غرب البلاد". وزاد على ذلك بالقول "الشعب في خوزستان كان في واجهة المشاكل طوال الحرب التي فرضت على إيران، وأنا شهدت بنفسي كيف وقف هذا الشعب بوفاء تام وأرسل شبابه ورجاله ونساءه لجبهات القتال. هذا الشعب الوفي والمحب لا يجب أن يواجه هذه المشكلات".

التمييز وجه آخر للتجفيف ومن بعض أشكاله منع الأهالي من تسمية أبنائهم بأسماء عربية تاريخية ماعدا الأسماء المتداولة بين أتباع المذهب الشيعي وحرمانهم من التعليم والدراسة بلغتهم العربية في المدارس

هو إذن، شاهدٌ بنفسه. ولكن كيف كافأ نظامه هذا "الشعب الوفي" على امتداد أكثر من أربعين عاما؟ وهل مشكلة المياه هي مجرد "تقصير" حكومي أم أنها سياسات "أرض محروقة" يتم تنفيذها على نحو منهجي؟ وهل اقتصرت المظالم على تجريف الأراضي وقطع الأنهار ونهب الثروات؟ أم أنها امتدت إلى استضعاف المستضعفين والتمييز العنصري ضدهم؟

الأحواز هي عاصمة إقليم عربستان (أو خوزستان). ويبلغ تعداد مواطنيه نحو 8 ملايين نسمة. نسبة كبيرة منهم عرب من أصول عشائرية معروفة لم تفلح فيهم مناهج التشييع الصفوية. وتشكل الثروات الطبيعية في هذا الإقليم 80 في المئة من مجموع ثروات الطبيعية في إيران. بما يسمح بالقول إنه هو مصدر الثروة الأكثر أهمية بالنسبة إلى البلاد. ولكن في المقابل، فقد ظل أكثر من 50 في المئة من مواطنيه يعيشون تحت خط الفقر. وتبلغ معدلات البطالة أكثر من 45 في المئة من بين القادرين على العمل من الشباب، ومن يجد عملا بينهم، فإنه يعمل بـ"عقود بيضاء" أي من دون حقوق قانونية ويمكن طرده في أيّ وقت.

ومواطنوه يُحرمون من العمل في المواقع التي تتصل بمصادر الثروة في حقول النفط والغاز والمنشآت التابعة لها. فهذه من المحرمات التي لا يمكن اختراقها ولا حتى بشهادات ولاء استثنائية وتزكيات مخابراتية. وإزاء هذا الواقع، فقد بقي معظم السكان يعيشون على زراعة حقولهم وبساتينهم، حتى جاءت سياسة الأرض المحروقة التي قصدت تحقيق هدف واحد: تهجير السكان العرب وإحلال مواطنين فرس محلّهم.

اليوم قد يقول علي شمخاني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي للنظام إن "الشعور بالتمييز أكثر إيلاما من الجفاف وشح المياه". ولكن إذا كان التمييز ظلما عشوائيا، طابعه الحقد العميم ضد العرب والسنة أكثر من غيرهم، فإن التجفيف ظلم منهجي ومدروس.

يضم إقليم خوزستان خمسة أنهار، هي "كارون"، الذي كان أطول نهر في إيران وأكثرها غنى بالمياه، و"كرخة"، و"دز" و"جراحي"، و"شاوور". هذه الأنهار كانت تصل بمياهها إلى ضفاف الخليج، ولكنها تحولت إلى أشباح بما صارت تعانيه من جفاف حوّلها بركا شحيحة. ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى عشرات السدود التي قصدت نقل المياه إلى مناطق أخرى، وخاصة إلى محافظتي يزد وكرمان في وسط وشرق إيران، وهو ما أدى إلى تدمير حقول الزراعة والبساتين والثروة الحيوانية في خوزستان، وذلك من قبل أن ينتهي الأمر إلى نقص مياه الشرب.

ولقد أقيم 24 سدا على نهر كارون، حتى صارت مياه الصرف الصحي هي التي تغمر امتداده في الإقليم، ولم تعد مياهه صالحة للشرب. وبالرغم من أنه كان نهرا للملاحة يطل على الخليج العربي فقد صارت مياه البحر المالحة هي التي تغمر نهاياته. وهو ما أدى إلى تدمير بساتين عبادان وخرمشهر وأروند كنار وغيرها.

بكل بساطة، لقد تم إعدام نهر كارون بتلك السدود، كما يتم إعدام الآلاف سنويا بحبال المشانق.

وتعرض نهرا "كرخة" و"دز" إلى ضغوط مماثلة حتى تناقصت كميات المياه الواردة منهما، بعد أن ظلا مصدر مياه الشرب الرئيسيين. إذ تم بناء 34 سدا في السنوات الثماني الماضية على نهر الكرخة، وكان من أكبر النتائج الكارثية لهذا العمل، إبادة "هور العظيم" والأراضي الزراعية الأخرى على طول النهر. وبات مزارعو الأرز أحد أكبر الضحايا. خاصة وأن "مراقبي الحكومة لا يسمحون بتدفق الماء إلى القنوات الخارجة من سدي دز والكرخة". وهناك اليوم أكثر من 700 قرية لا يصلها الماء.

أبعد من ذلك، فقد اغتصبت حكومة الولي الفقيه أكثر من 450 ألف هكتار من الأراضي الزراعية العائدة للسكان العرب ووزعتها مجانا على المستوطنين الفرس.

التمييز، وجه آخر للتجفيف، ومن بعض أشكاله "منع الأهالي من تسمية أبنائهم بأسماء عربية تاريخية – ماعدا الأسماء المتداولة بين أتباع المذهب الشيعي – وحرمانهم من التعليم والدراسة بلغتهم العربية في المدارس والمؤسسات التعليمية الرسمية"، ومن نتائجه تفشي الأمية وارتفاع معدلات البطالة إلى مستويات أعلى بكثير من مستويات البطالة في عموم البلاد.

ولا يحظى مواطنو خوزستان العرب بأيّ فرص لاحتلال مناصب رئيسية، لا في الإقليم ولا في غيره من مؤسسات البلاد. ولئن كان هناك عدد قليل ممن أفلتوا من التمييز، فقد تكفلت حكومة محمود أحمدي نجاد بإزاحتهم من مناصبهم.

وبالرغم من أن الإقليم يوفر 80 في المئة من عائد الثروة من النفط والغاز والبتروكيمياويات لإيران، فقد رفض برلمان الولي الفقيه لأربع دورات مقترحات لتخصيص 1.5 في المئة من هذه الموارد لمشاريع الإعمار في الأحواز.

دع عنك الإعدامات التي تطال كل الإيرانيين، ودع عنك أن نصيب الأحوازيين منها أعلى من غيرهم، فقد يراود المرء الاعتقاد، بأن الاعتقالات العشوائية والمحاكمات التعسفية وأعمال التعذيب وقضاء سنوات طويلة في سجون يغمرها القهر، هي أقصى ما يمكن أن يقع للمرء من مظالم. وإنه ما بعد هذا الظلم ظلم. إلا حيال الأحوازيين. فهؤلاء هم وحدهم الذين يمكن أن يُظلموا ويُزاد على ظلمهم ظلما.

في مطلع مارس 2020، وعندما اجتاحت موجة وباء كورونا السجون الإيرانية، تم إطلاق سراح 85 ألف سجين، بسبب الظروف المرعبة التي يعيشها السجناء في غرف مكتظة وتفتقر إلى أدنى المقومات الإنسانية. وحيثما انتظر أهالي الأحواز عودة أبنائهم من السجون، فقد كانت النتيجة هي أن أحدا منهم لم يُطلق سراحه.

وعندما انتفض السجناء المعتقلون في سجون الإقليم في "شيبان" و"سبيدار" و"عبادان" في الـ30 والـ31 من مارس من ذلك العام، فقد تعمدت قوات الحرس إطلاق النار عليهم بزعم أنهم حاولوا الهروب مما أدى إلى مقتل العشرات منهم.

هل تذكر الآن، ما قاله ذلك الذي قال "أنا شهدت بنفسي"؟ هل ترى كيف كان نظامه يعامل "هذا الشعب الوفي"؟

إنه علي أكبر منافقي. وهو يعرف أكثر من غيره أن هذا الشعب الوفي لنفسه ولأصوله، يدعو له بالموت، ويريد سقوط جمهورية الإمام والمرشد والولي التقي. ليس لأنه يُميّز ويقتل ويحرق ويجفف، بل لأنه لا يتقي.

الأحوازيون عطشى وجوعى رغم غناهم

د. سالم حميد
كاتب إماراتي

منطقة غنية بالنفط والمياه تعاني الفقر والعطش.. هذا هو حال إقليم الأحواز الذي يضم أكثرية عربية، حيث يعاني سكانه من الاضطهاد المنظم والتجويع والقهر من قبل السلطات الإيرانية، التي تسعى بشكل ممنهج لتهجير الأحوازيين وتشتيتهم في محافظات إيران.

احتجاجات الأحواز وحراكهم قديم جديد حيث أنهم يطالبون بحقوقهم منذ سنوات طويلة، وقد حاولوا أن يدفعوا النظام القمعي في طهران إلى احترم إرادتهم وتحقيق مطالبهم لكنهم دائماً يقابلون بالحديد والنار، وأخيراً في مؤامرة مفضوحة قامت السلطات الإيرانية بتجفيف جزء من نهر كارون بهدف نقل مساره من إقليم الأحواز ومحافظة خوزستان إلى شمال شرق المنطقة نحو زايندهرود وأصفهان.

وهذا النهر يعتمد عليه السكان بشكل كبير في الزراعة والري، حتى أن مناطق واسعة جفت ونفقت قطعان من المواشي، ويهدف النظام الإيراني إلى تعطيش السكان ودفعهم لمغادرة مناطقهم نحو محافظات أخرى بهدف تسهيل السيطرة عليهم من خلال تهجيرهم وتشتيتهم وتفقيرهم وهذا ما يدركه تماماً سكان الأحواز العرب.

ويسعى نظام الملالي في طهران إلى إحداث تغيير ديمغرافي في مناطق العرب عبر نقلهم إلى مناطق في الداخل الإيراني وأخرى بعيدة عن الأحواز، وإحلال سكان جدد مكانهم بالإضافة إلى إفراغ مناطق أخرى من السكان تماماً، لتكون مقرات لشركات دولية تسعى للتنقيب عن النفط، وطهران تسعى منذ سنوات طويلة لسلخ الأحوازيين عن ثقافتهم ولغتهم وأرضهم لهدفين، الأول يتعلق بمنطقتهم الغنية بالثروات الطبيعية إضافة إلى موانئ بحرية وقربهم من الخليج، وهو ما يشكل هاجسا لدى النظام الذي يريد تهجيرهم وتشتيتهم.

السلطات الإيرانية تحاول نشر أخبار كاذبة مفادها أن التظاهرات الأحوازية مدفوعة من الخارج خوفاً من أن تنضم باقي الأقليات إلى التظاهرات نتيجة ارتفاع نسبة الفقر

الهدف الآخر يتعلق بهوية الأحوازيين الذين يتجاوز تعدادهم مليوني نسمة يعيشون في خوزستان ومناطق قريبة ويتحدثون العربية، لذلك يسعى النظام لإحلال عناصر فارسية من محافظات أخرى مكانهم، وقد عمدت السلطات الإيرانية إلى قمع الناشطين الأحوازيين وقتلهم وملاحقة كل من يعترض، كما ميزتهم في التعامل سواء من ناحية توفير فرص العمل أو حتى تسهيل حياتهم العادية، لا بل تعمد إلى التضييق عليهم بشكل متكرر حتى وصل الأمر إلى مياه الشرب والري.

ردة فعل الأحواز هذه المرة كانت مختلفة فالأمر وصل إلى التعطيش المتعمد، لينتفض أهلها ويخرجوا في مسيرات عارمة امتد صداها سريعاً إلى مدن أخرى، منها طهران حيث خرج أحوازيون من سكان العاصمة في تظاهرات مطالبة بحقوقهم الأساسية، ويتخوف النظام الإيراني من أن تمتد التظاهرات نحو أقليات مضطهدة أخرى مثل الأكراد، حيث تتعمد السلطات ذات المنهجية في القمع المتكرر ومخططات التغيير الديمغرافي، وأيضاً في مناطق ذات غالبية أذرية حيث يقتسمون الظلم مع باقي القوميات المضطهدة.

وتحاول السلطات نشر أخبار كاذبة مفادها أن التظاهرات الأحوازية مدفوعة من الخارج خوفاً من أن تنضم باقي الأقليات إلى التظاهرات خاصة من الناقمين على النظام والفقراء والمهمشين، حيث ترتفع نسبة الفقر في البلاد بسبب سياسات طهران في التدخل في دول الجوار، بهدف تصدير ما يسمى بالثورة الإسلامية، التي هي في الحقيقة وسيلة لسيطرة رجال الدين على السلطة في البلاد، وهذه التدخلات تستنزف الاقتصاد الإيراني وتتسبب في حصار اقتصادي، يضاف إليه تعنت طهران ومحاولتها تصنيع سلاح نووي يهدد المنطقة برمتها، كل ذلك تسبب في حالة نقمة شعبية ليس في أوساط الفقراء فقط، بل المثقفين والناشطين الذين عانوا من حالة قمع الحريات وتسلط رجال الدين على كل مفاصل الحياة في البلاد.

سبق لإيران أن شهدت حراكاً شعبياً عارماً زعزع كيانها وهدد نظام الملالي، وربما تكون هذه الشرارة بداية لثورة عارمة تعيد للشعب الإيراني حقوقه ولتحظى جميع الأقليات بعيش كريم ولائق.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk